﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ [سبأ: 34 - 35]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقالُ من حالِ المترفين في الآخرةِ إلى أحوالِهم وأحوال أمثالِهم في الدُّنيا

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة مشاهدَ القيامةِ في حوارِ الذين استكبروا مع الذين استُضْعِفوا، وأنَّهم نالوا جزاءَهُم العادلَ؛ انتقلتِ الآياتُ لبيانِ أنَّ ما جرى بين المستكبرين السّادةِ والمستضعَفينَ الأتباعِ هو سنَّةٌ مضت في الأمم السّابقة، وأنَّ اللّه تعالى ما أرسل في قريةٍ من رسولٍ ليُنذرَهم إلّا اعترضَهُ المترفون، وكفروا بما أتى به مِنَ البيِّنات، واعتمدوا على قوَّتِهم الماليَّة والبشريَّة، وأنكروا البعثَ والجزاء.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَرۡيَةٖ﴾: (قري) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى جُمَعٍ واجتماعٍ، مِن ذَلِكَ القَريَةُ، سُمِّيَت قَرْيَةً لاجتماعِ النّاسِ فيها[1]، وهي: كُلُّ مَكانٍ اتَّصَلَت بِهِ الأَبنيَةُ، واتُّخِذَ قَرارًا، وتَقَعُ عَلَى المُدُنِ وغَيرِها، والجَمعُ قُرًى[2]، وقيل: اسمٌ للموضع غير المحصَّن الذي يجتمعُ فيه النّاسُ، واسمٌ للناس أيضًا، فيُستَعْمَل في كلٍّ واحدٍ منهُما، قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: 82]، معناه: أهلُ القريةِ، وقال بعضُهم: القومُ أنفُسُهم، وعليه قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ [النحل: 112]، وقولُه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ﴾ [محمد: 13][3]، والمرادُ بالقريةِ في الآية: كلُّ قريةٍ أتاها رسولٌ فكذَّبته، وكفرَتْ بما جاء به.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (قري).
(2) الحموي، المصباح المنير: (قري).
(3) الراغب، مفردات القرآن، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (قري).

2) ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾: (ترف) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، وهيَ التُّرفَةُ، يقالُ: رَجُلٌ مُترَفٌ مُنَعَّمٌ، وتَرَّفَهُ أَهلُهُ، إذا نعَّموهُ بِالطَّعامِ الطَّيِّبِ والشَّيْءِ يُخَصُّ بِهِ[1]، والتُّرفَةُ تعني: التوسُّع في النِّعمة، يقال: أُترِفَ فلانٌ، فهو مُترَف، قال تعالى: ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: 33]، وقال: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ [هود: 116][2]، والمعنى المحوريُّ: امتلاءُ الشَّيءِ بالريّ والرخاوة حتَّى ينتبر متميِّزًا عمّا حوله، وأَتْرَفَ الرجلَ: أعطاهُ شهوتَهُ، والشَّهوات لا تُشْبَع بنيل الضروري، والمُتْرَف: المُتَنَعِّم المُتَوَسِّعُ في ملاذِّ الدُّنيا وشهواتِها، والمرادُ هنا: رؤساؤُها وقادةُ الشَّرِّ منها[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المترفون أسرعُ الناس كفرًا لافتخارِهم بالأموالِ والأولاد كفرانًا

تُبيِّن الآيتان موقِفَ المُتْرَفين في كلِّ أمَّة مِنَ الأمم، وكيف تعاملوا مع الرُّسل الذين أُرْسِلوا لهدايتهم، وتُبيِّن أنَّهم كانوا مُناوئين لهم، فلم يؤمنوا برسالتِهم، وناصبوهم العداءَ؛ لأنَّ التَّرفَ مِنْ شأنِه أنْ يُفسِدَ الفطرةَ، ويبعثَ على الغرور والتَّطاول، ويحولَ بين الإنسان والتَّمَسُّك بالفضائل والقيم العليا، ويهدي إلى الانغماسِ في الرَّذائل والشَّهوات، وأنَّ هؤلاء المُترفين لم يكتفوا بإعلانِ كفرِهم، وتكذيبهم للأنبياء والمصلحين، بل أضافوا إلى ذلك التَّبَجُّحَ والتَّعالي على المؤمنين، فافتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أنَّ ذلك دليلٌ على محبَّة اللّه لهم، واعتنائه بهم، وأنَّه سبحانه ما كان ليُعطيَهم هذا العطاءَ في الدُّنيا، ثم يعذِّبهم في الآخرة[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواوِ ومعناها:

محاربةُ الصّالحين عادةُ الظّالمين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ

(الواو) في جملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ استئنافيَّةٌ، والكلامُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ترف).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (ترف).
(3) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ترف).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 461، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 297.

بعدها مُستَأنفٌ جيء به؛ "تَسليَةً لِقَلبِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبَيانًا؛ لأَنَّ إيذاءَ الكُفّارِ الأَنبياءَ الأَخيارَ لَيسَ بِدعًا، بَل ذَلِكَ عادَةٌ جَرَتْ مِن قَبْلُ"[1].

نوع (ما) ومعناها:

(ما) في جملة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ حرفُ نفْيٍ، يدلُّ بمعناه على القطع بتكذيب المُترفين للأنبياءِ والمرسلين الذين أرسلَهم اللّهُ تعالى لهدايتهم، ويدلُّ ببنائِهِ المُنتهي بحرف المدِّ على انتفاء إيمانِهم بالرُّسل انتفاءً لا يمكن معه حصولُ التَّصديقِ منهم، وإيثارها على أدوات النَّفي الأخرى للعمومِ، ولتشملَ جميعَ الأنبياء الذين أرسلَهم اللّه تعالى إلى أقوامِهم، وهو توكيدٌ لمفهوم أنَّ هذه الآيةَ مِن آيات السُّننِ.

إيثارُ نفي العمومِ توكيدٌ لمفهومِ السُّننيَّة

بلاغةُ انتقاءِ مفردةِ الإرسال:

استعمل النَّظمُ الكريمُ في جملة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ فعلَ الإرسال؛ لدلالته على أنَّ النَّبيَّ المُرسَل لم يأتِ لأمرٍ يخُصُّه، ولكنَّه أُرسل مِن ربِّ العالمين برسالةِ الخير والنَّفع لأهل القرى، ومع ذلك كفرَ المترفونَ بما أُرسل به، والإرسالُ أصبحَ مِن الكلمات الدّالَّة على الرِّسالةِ الإلهيَّة بين المرسلِ سبحانه وخلقه، بخلاف البعثِ فهو أعمُّ مِن ذلك، ويُلاحظ في دلالةِ الإرسالِ اليُسر والسلاسة، بخلاف البعث الذي يدلُّ على الإثارةِ، ولا يستلزم وجودَ رسالةٍ.

الإرسالُ مرتبطٌ بمعنى السلاسةِ وتحقيق المقصدِ بوجودِ رسالةٍ

نكتةُ إسنادِ الإرسالِ إلى ضمير العظمةِ:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بفعل الإرسال مُسندًا إلى ضمير الحقِّ في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾؛ تفخيمًا للإرسال، وتوقيرًا للمُرسلين الذين اصطفاهم الله للقيام بهذه المهمَّة، وفي التَّعبير دلالةٌ على أنَّ الواجب الذي كان مُتَوَقَّعًا مِن أهل القرى أنْ يَتَلَقَّوا هذا الإرسالَ بالتَّقدير

تشريفُ الرُّسلِ وتعظيمُ شأنِ الإرسال يقتضي الإيمانَ والاتِّباع

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 209.

والامتنان؛ لما فيه من برهانٍ على اهتمام المولى بِهِم، وحرصه سبحانه على إخراجِهم مِن الظُّلمات إلى النّور، كما كان مِنَ الواجب عليهم الإيمانُ بالرُّسل واتِّباعُهم، إلا أنَّ ما حصل منهم كان على النَّقيض من ذلك، ففيه من التَّسليةِ لرسول الله ﷺ والتَّخفيف عنه لمشابهةِ قومِه لسائر الأقوام.

غرضُ تنكيرِ ﴿قَرْيَةٍ﴾:

جيءَ بلفظِ ﴿قَرْيَةٍ﴾ نكرةً؛ لإفادةِ العموم الدالِّ على أنَّ جميعَ القرى - على اختلافِ أحجامِها، واختلافِ أزمانِها، واختلاف أهلِها - كانت سواءً في الكُفر بالرُّسل، والتفاخر بالأموال والأولاد، وأنَّ إرسال الرُّسل عمَّ الأمم والقرى جميعَها، فضلًا من الله تعالى ورحمةً بعباده.

رحمةُ الله تعالى عـمَّـت خـلْـقَـهُ بإرسال الرُّسل إليهم

نوعُ ﴿مِّن﴾ وغرضُها:

حرفُ ﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ صلةٌ للتوكيدِ، وهي تُفيد تأكيدَ إرسالِ الرُّسل إلى أهل القرى كافَّة، فهي مؤكِّدة لمعنى العمومِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بوصف الإنذار:

أوثرَ التَّعبيرُ عن الرُّسل بوصف النِّذارة في قوله: ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾؛ لبيانِ أنَّ تلك القرى كانت تعمل المعاصيَ، وتشركُ بالله تعالى، فلزمهم الإنذارُ والتَّحذير من مآل أفعالهم، وللدَّلالةِ على أنَّ الإنذارَ - مع شدَّته وقوَّة تأثيره في النَّفس - لم يُجْدِ نفْعًا مع أهل القرى، ولم يُؤَثِّرْ فيهم، فانصرفوا عن الإيمان إلى الكفرِ، وعن الشُّكر والثَّناء على الله تعالى إلى التَّفاخر بالأموال والأولاد.

الإنـذارُ كاشفٌ عن واقعِ الأقوامِ وحالِ القرى

نكتةُ صياغة ﴿نَّذِيرٍ﴾ بزنة (فعيل):

أوثِرَ التَّعبيرُ عن الرَّسول بوصف ﴿نَّذِيرٍ﴾ بزنةِ فعيلٍ؛ للدَّلالة على أنَّ الرُّسل أدّوا حقَّ الرِّسالة، ولم يُقصِّروا في التَّبليغ، بل بالغوا في النِّذارة؛ حرصًا منهم على نفعِ أهل القرى؛ لأنَّ كثرةَ التَّخويف

كـفـرُ الأقـوامِ بسببِ طغيانِهم لا بسببِ تقصير المرسلين

بالعذاب المُعَدِّ للكافرين تدفع بدهيًّا إلى الإيمان بُغْيَةَ النَّجاة منه، ومع ذلك فأهلُ القرى كفروا باللّه، وكذَّبوا رسلَهُ، وادَّعَوا أنَّه لن يعذِّبهم في الآخرة؛ لأنَّه أغناهم بالمالِ والولدِ في الدُّنيا.

دلالةُ تنكير لفظِ ﴿نَّذِيرٍ﴾:

نُكِّرَ لفظُ ﴿نَّذِيرٍ﴾؛ لِما يُفيدُه التَّنكير من العموم، فالنَّكرةُ في سياقِ النَّفي تُفيد العمومَ، فدلَّ ذلك على إرادة السُّننيَّة، وأنَّ اللّه تعالى من سنَّتِهِ أن يرسلَ رُسلًا لجميعِ القرى، عدلًا منه ومنَّةً.

دلالةُ القصرِ بالاستثناء والنَّفي:

كـفـرُ المـترفـين طغيانٌ وجحودٌ واستكبارٌ

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ قصَرَ النَّظمُ القرآنيُّ موقفَ المُترفين مِنَ الرُّسل على قولهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، لمطابقة الخبرِ للواقع الذي كان عليه أهلُ القرى مع الرُّسل الذين أرسلَهُم اللّه تعالى لهدايتهم؛ تسليةً للرَّسول والذين آمنوا معه، ولئلّا يحزنوا، ويتألَّموا مِن فعل أهلِ مكَّة معهم بصفة عامَّة، وفِعل الكُبَراء والمترفينَ منهم بصفة خاصَّةٍ؛ لأنَّ مثلَ ذلك حدث مع جميعِ الرُّسل على مرِّ العصورِ والأزمان.

دلالةُ استعمالِ لفظِ القول:

مـا يـنـطـقُ بـه الـلّسان إعـرابٌ عـمّا استقرَّ في الوجدان

التَّعبيرُ بفعل القول الموضوع لإبرازِ ما تَتَصَوَّرُه النَّفسُ، في جملة: ﴿قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾، فيه دلالةٌ على أنَّ الكفرَ عقيدةٌ راسخةٌ في نفوس أهلِ القرى، ومتغلغلٌ فيها، وأنَّ ما خرجَ مِن ألسنتِهم ما هو إلّا إعرابٌ عمّا استقرَّ في قلوبهم، ومِن ثمَّ لم يُجْدِ معهم الإنذارُ وكثرةُ الرُّسل أيَّ نفعٍ، ولم يُحدثْ فيهم شيئًا مِنَ التَّغيير، وفيه كذلك تحذيرٌ للمشركين وغيرهم مِنْ أنَّ هذه الأقوالَ وأمثالَها تعدُّ إدانةً لِمن يقولُها، وسيلقى حسابَهُ عليها في الدُّنيا والآخرة إن مات مُصِرًّا عليها.

وجهُ إسنادِ فعلِ القول إلى المترفين:

المُترفونَ قدوةُ الدَّهماء ورأسُ البلاء

أَسنَدَ النَّظمُ القولَ إلَى المُترَفينَ مَعَ أَنَّ غيرَهُم أيضًا قالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ لأَنَّ الأَغنياءَ المُترَفينَ هُمُ الأَصلُ في ذَلِكَ القَولِ، أَلا تَرَى أَنَّ اللهَ قالَ عَنِ الَّذينَ اسْتُضْعِفوا: أَنَّهُم قالوا لِلمُستَكبِرينَ: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾ [سبأ: 31]، ثُمَّ استدلّوا عَلَى كَونِهِم مُصيبينَ في ذَلِكَ بِكَثرَةِ الأَموالِ والأَولادِ، فَقالوا: ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾، أَي: بِسَبَبِ لُزومِنا لِديننا، وقَولُهُ: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، أَي: في الآخِرَةِ، كَأَنَّهُم قالوا: حالُنا عاجِلًا خَيرٌ مِن حالِكُم، وأَمّا آجِلًا؛ فَلا نُعَذَّبُ؛ اعتِقادًا لِحُسنِ حالِهِم في الآخِرَةِ أَيضًا قياسًا عَلَى حُسنِ حالِهِم في الدُّنيا[1]، وإذا قالَ المُنَعَّمون ذلك؛ تَبِعَهُم الضُّعفاء، فإذا وُقِفوا عند ربِّهم؛ تَقاوَلوا بِما تقدَّم، ثمَّ لم ينفعْهُم ذلك[2].

المترفونَ أوَّلُ المكذِّبين وأسرعُ الكافرين

وخُصَّ المترفونَ بالتَّكذيب؛ لأنَّهم - في الأغلب - أوَّلُ المُكَذِّبين للرُّسل ﷺ؛ لِما شُغلوا بِهِ مِن زخرفةِ الدُّنيا، وما غلبَ على قلوبهم منها، فهُم منهَمِكون في الشَّهوات والاستهانة بمَن لم يحظَ منها، بخلاف الفقراء، فإنَّ قلوبَهم لخُلُوِّها مِن ذلك أقبلُ للخير، ولذلك تراهم أكثرَ أتباع الأنبياء[3].

بلاغةُ اختيارِ مفردةِ التَّرف دونَ الغِنى:

التَّرفُ باعثٌ على التَّطاول وهادٍ إلى الوقوع في الرَّذائل

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردةِ التَّرف، في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ التَّرفَ الزائدَ عن الحدِّ "مِنْ شأنِهِ أنْ يُفسد الفطرةَ، ويبعثَ على الغرور والتَّطاول، ويحولَ بين الإنسان وبين التَّمسُّك بالفضائل والقيم العليا، ويهدي إلى الانغماسِ في الرَّذائل والشَّهوات الدُّنيا"[4]، والمعنى: قال العظماء الذين لا شغلَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 209.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 513.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 553، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 321.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 297.

لهم إلّا التَّنعُّم بالفاني حتَّى أكسبَهم البغيَ والطُّغيانَ[1]، بخلاف (الغنى) الذي لا يحدث معه ذلك في الكثير الغالبِ؛ لأنَّهُ يكونُ بالمال أو بالقوَّة أو بالمعونة[2]، وقد يكونُ بشعور نابعٍ مِنَ النَّفس مع تَجَرُّدها مِنَ المال والقوَّة والمنعة.

لطيفةُ اسم المفعول في ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾:

مَـن لـم يشكـرْ نِـعـمَ الـلـه؛ سُلِبها

صاغ البيانُ القرآنيُّ المُسند إليه بزنةِ اسم المفعول، فقال: ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ ما عندَهم مِنَ النِّعَم الَّتي يتفاخرون بها مَحضُ فضلٍ مِنَ اللّه تعالى عَليهم، وأنَّه ما خصَّهم بها لفضلٍ يستحقّونَهُ، أو لمزيَّةٍ امتازوا بها مِن غيرهم، وأنَّ مِن الواجبِ عليهم أنْ يشكروهُ سبحانه عليها بالإيمان برسُلِهِ والتَّصديق بالوحي المُنَزَّل إليهم، والعمل بما يرشدُهم إليه، ففي بناء المسند إليه لِلمَفعولِ تَعريضٌ بالتَّذكيرِ بِنِعمَةِ اللّهِ عَلَيهِم؛ لَعَلَّهُم يَشكُرونَها، ويُقلِعونَ عَنِ الإشراكِ بِهِ[3].

التَّرفُ الكثيرُ مع الغفلةِ طريقُ البطرِ والكفرِ

وبَعضُ أَهلِ اللُّغَةِ يَقولُ: أَترَفَتْهُمُ النِّعمَةُ، أَي: أَبطَرَتهُم[4]، ما يعني: أنَّ في بناءِ الاسمِ المشتقِّ للمفعول إشارةً إلى أنَّ النِّعمةَ كانت سببًا في بَطَرهم وكبرهم، وفيه دلالةٌ على سوءِ طبيعتِهم وخبثِ طويَّتهم؛ لأنَّهم قابلوا نِعَمَ اللّهِ الكثيرةَ عليهم بالبطرِ والكفرِ، لا بالإيمانِ والشُّكرِ.

نوعُ الإضافةِ ودلالتها:

المـترفـونَ هم أعـلامُ الـقـرى وأصحابُ النُّفوذِ والتأثيرِ فيها

عبَّر النَّظمُ الكريم باسم المفعولِ مضافًا إلى ضمير القريةِ قائلًا: ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾؛ وهي بمعنى (في)، أي: مترفونَ في القرى، أو (اللام) ففيها معنى الاختصاصِ؛ للدَّلالة على أنَّهم أعلامُ القرى، وأصحابُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 513.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 175.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 212.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 212.

النُّفوذِ والمال فيها، وأنَّ القرى كانت تُعرَف بهم، وتُضاف إليهم، ما مِن شأنه أنْ يجعلَ لكلامِهم التَّأثيرَ البالغَ في أهلِها.

نكتةُ إسنادِ القولِ الواحد إلى الجمعِ المتفرّق:

الكفر ملَّةٌ واحدةٌ في حـرب دين اللهِ تعالى

جملة: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم﴾ حِكايَةٌ لِلقَولِ بِالمَعنَى، أَي: قالَ مُترَفو كُلِّ قَرۡيَةٍ لِرَسولِهِم: إنّا بِما أُرسِلتَ بِهِ كافرونَ، وهذا مِن مُقابَلَةِ الجَمعِ بِالجَمعِ، الَّتي يُرادُ مِنها التَّوزيعُ عَلَى آحادِ الجَمۡعِ[1]، وفي هذا دلالةٌ على تواطُؤِ أهل الكفرِ على مواجهةِ الرُّسل وحربهم.

غرضُ التَّوكيدِ:

الكفرُ الصَّريحُ يُعلمُ مِنَ النَّظم الفصيح

صيغ قولُ المترفينَ لرسلهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ بتوكيدِ الكلامِ بإنَّ والجملةِ الاسميَّة وتقديم الجارِّ والمجرور على الخبرِ؛ لتَيئيسِ المرسلينَ مِن إيمانِهم، وإفقادِهم الأملَ في اتِّباعهم، وإعلامِهم بعدم جدوى إنذارِهم أو تبشيرِهم.

علَّةُ التَّعبيرِ بالموصول:

كُـفـرُ المـترفـين يعمُّ ما جاء به الرُّسل وإن كان فيه النَّجاة في أُخراهم

التَّعبيرُ عن الوحي باسم الموصولِ العام (ما)، فيه دلالةٌ على كُفرِ المترفين بكلِّ ما جاءَتْ بِهِ النُّذُرُ مِنْ طَلَبِ الإيمانِ باللَّهِ، وإفرادِهِ بالعِبادَةِ، والإخبارِ بِأَنَّهُم رُسُلُهُ إلَيهِم، والبَعثِ والجَزاءِ عَلَى الأَعۡمالِ[2]، سواء أكان إنذارًا أم تبشيرًا، ترغيبًا أم ترهيبًا، والمعنى: إنّا بما أرسلتُم به كافرون، وإنْ كان أهدى ممّا كنّا فيه، وأحسن ممّا نحن عليه، وإن كان فيه صلاحُنا ونجاتُنا؛ لأنَّنا ثابتون على دين آبائنا وأجدادِنا لا ننفكُّ عنه[3].

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرور على الخبر:

قُدِّمَ ذِكرُ الجارِّ والمجرور: ﴿بِمَآ أُرۡسِلۡتُم﴾ على الخبر: ﴿كَٰفِرُونَ﴾؛

قبحُ الرَّدِّ والجرأةِ في الجوابِ دليلُ طغيانِ الكفرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 212.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 553.
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 8/ 362.

لبيانِ رغبةِ المترفين في التَّعجيل بإخبارِ المرسلينَ بكفرِهم بالوحي الذي جاؤوهم بِهِ، وعنادِهم على التَّمسُّك بما هم عليه، وإصرارِهم على تقليد آبائِهم في الكفرِ والضَّلال، وإقناطِهم للنَّذير مِنْ أنْ ينظروا، ويتفكَّروا فيما جاءهم به[1]، وهو ما يدلُّ على قُبحِ ردِّهم، وجراءتهم على أنبياءِ الله تعالى.

نكتةُ بناءِ ﴿أُرْسِلْتُم﴾ للمفعول:

جيءَ بفعل الإرسال مبنيًّا لغير الفاعل في قوله تعالى: ﴿أُرْسِلْتُم﴾؛ للدَّلالة على استهتارِ المترفين، ولامبالاتهم بالمرسلِ ﷺ، فهُم يعلمون المرسلَ لكنَّهم يتعامَونَ عن ذلك، فغايةُ أمرِهم رفْضُ الرِّسالة، وردُّ المرسلين، والعناد على ما هم عليه من التَّرف والنَّعيم الزّائل، فهُم يُعلنون الكفرَ بالرُّسل بقطع النَّظر عن المرسلِ.

جحودُ الكافرين رغم آياتِ الله البيِّنات

دلالةُ التَّهكُّم وغرضُه:

في قَولِهم: ﴿أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ تَهَكُّمٌ واستهزاءٌ، بِقَرينَةِ قَولِهم: ﴿كَٰفِرُونَ﴾، وهوَ كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: 6]، أَوِ المَعنَى: إنّا بِما ادَّعَيتُم أَنَّكُم أُرسِلتُم بِهِ[2]، ولا يخفى ما فيه من التَّبَجُّح والاجتراء على رسل الله، وإنَّما حكاه القرآنُ زيادةً في تسليةِ الرسول والمؤمنين، وتثبيتهم في مواجهة تكذيب أهلِ مكَّة وغيرهم.

الإخبارُ باستهزاءِ المترفين بالرُّسل تسليةٌ للمؤمنين

دلالةُ استعمالِ لفظِ الكفر:

استعمالُ مفردةِ الكفرِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ الدّال على جحودِ الوحدانيَّة، أو النُّبوَّة، أو الشَّريعة، أو ثلاثتها، يدلُّ على إنكارِ المُترفين كلَّ ما جاء بِهِ الرَّسول فيما يتَّصل بهذه الأمورِ الثَّلاثة، وليس في شيءٍ منها دونَ شيءٍ آخرَ، فهم

لفظُ الكفرِ أعمُّ الألفاظِ الدّالةِ على رفضِ الرِّسالة الإلهيَّة

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 8/ 362.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 212.

كافرونَ باللّهِ، وكافرون بالرَّسول، وكافرون بما في الوحي الَّذي أُرسل بهِ مِن أوامر ونواهٍ وتوجيهاتٍ، فأتى بمادَّة الكفرِ لبيان عمومِ كفرِهم، فهم يُكذِّبون، ويُشركون، ويفترون، ولفظ الكفرِ يشملها وغيرها مِنَ الألفاظ الدّالَّة على إخراجِ الإنسانِ مِن دائرة القبولِ الإلهيِّ.

لطيفةُ صوغِ لفظِ الكفرِ اسمَ فاعل:

المترفون غارقونَ في وهْمِ النَّعيم غافلون عن جنَّة النَّعيم

أوثِرَ التَّعبيرُ عن الخبرِ ﴿كَٰفِرُونَ﴾ باسم الفاعل؛ لأنَّه يدلُّ بمعناهُ على ثبات المُترفين على الكفرِ ودوامِهم على القيام بكلِّ أعمالهِ ومظاهِره، المؤدّية إلى إفقادِ الرَّسول الأملَ في إيمانهم، وتيئيسِهِ مِنَ الطَّمع في استجابتهم، فقد رسخَ فيهم الكفرُ والجحود والاستكبار.

غرضُ العطفِ بالواو:

استكمالُ بيانِ موقفِ المترفين فيه تجليةٌ لحقيقةِ المشهدِ المبين

(الواو) في جملة: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، جيءَ بها لاستكمال كلام المترفين، الذين وضَّحوا به موقفَهم مِنَ الرُّسل الذين أُرسلوا إليهم، ولتحقيق مزيدٍ مِنَ التَّسلية والتَّثبيت، ببيان أنَّهم لم يكتفوا بإعلانِ صريحِ كفرِهم، بل أضافوا إليه ما يزيد الرُّسلَ يأسًا من إيمانهم، فادَّعَوا أنَّ ما هم عليه أفضلُ ممّا جاؤوهم به، واستدلّوا على ذلك بكثرة أموالهم وأولادِهم، وأنَّ إنعامَ اللّه عليهم بذلك ما هو إلّا دليلٌ على رضاهُ عنهم، وتفضيلِه لهم على غيرِهم مِنَ الرُّسل وأتباعهم.

دلالةُ تَكرارِ فعل القول:

الإيماءُ إلى استقلالِ كلِّ قولٍ بحيثيَّةٍ مع الرَّبطِ بينهما

كان مِن الممكنِ أن يقتصرَ البيانُ على ذِكرِ القول المتقدِّم بأن يُقال: (قالوا: إنّا بما أُرسلتُم بهِ كافرون، ونحن أكثرُ)، لكنَّ النَّظمَ كرَّرَ فعلَ القولِ؛ للإشارةِ إلى أنَّ عبارةَ المترفين الثانية ليست بالضَّرورةِ أن تكون في أعقابِ الأولى مباشرة، وأنَّها كانت لبيان السَّببِ الَّذي شجَّعهم على أن يقولوا للرَّسول: إنّا بما أُرسلتَ بهِ كافرون، تُزاد على ذلكَ دلالةُ الإعادة على اهتمام الكافرين الشَّديد

بالحديث عمّا عندَهم مِنَ الأموال والأولاد، وتَكرار فَخْرِهم بذلك في مواطنَ كثيرةٍ، فأُقيمتِ الجملتان باستقلالٍ، فهما قولانِ اثنان، كلٌّ واحدٍ منهما له حيثيَّتُهُ، ويربط بينهما بالدِّلالةِ الجامعة، التي أشار إليها حرفُ العطفِ.

دلالةُ التَّعبير بفعل القول ماضيًا:

التَّعبيرُ بفعل القول الموضوعِ لإبراز ما في النَّفس دالٌّ على أنَّ المترفين يعتقدون اعتقادًا جازمًا أنَّ ما لديهم مِنَ الأموال والأولاد برهانٌ على أفضليَّتهم، ودليلٌ دامغٌ على صواب ما هم عليه، "فَجَعَلوا ما حَفَّ بِحالِهِم في كُفرِهِم مِن وفرَةِ المالِ والوَلَدِ حُجَّةً عَلَى أَنَّهُم مَظِنَّةُ العِنايَةِ عِندَ اللَّهِ، وأَنَّ ما هُم عَلَيهِ هوَ الحَقُّ"[1]، وفي التَّعبير بفعل القول ماضيًا دليلٌ على حصولِ قولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ حصولًا مؤكَّدًا، وتحقُّقِ صدورِهِ عنهم، ليُعلمَ أنَّ هذا ديدنُ المترفين المتغطرسينَ.

المترفون يعتقدون أنَّهم على الحقِّ لما نالوه مِنَ النِّعَمِ

تعيينُ مرجعِ الضَّمير:

اختُلف في تعيين مرجعِ الضَّميرِ المرفوعِ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ فقيل: عائدٌ عَلَى المُترَفينَ، وقيلَ: عائدٌ عَلَى قُرَيشٍ، ويَدُلُّ عَلَيهِ ما بَعدَهُ مِنَ الخِطابِ في قَولِهِ: ﴿قُلْ﴾؛ لِأَنَّ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ المُترَفينَ الهالِكينَ لا يُخاطَبونَ، فَلا يَقولُ إلّا المَوجودونَ[2]، غير أنَّ السياق يُرَجِّحُ أن يكونَ الضَّميرُ عائدًا إلى المُترفين، وأنَّ ما جاء بعده مِن الأمرِ بالقول مِن باب توجيهِ النَّبيِّ إلى بيان الحكمةِ الإلهيَّة في إنعامِ اللّه تعالى على خلقِهِ.

الافتخارُ بالتَّكاثرِ ديدنُ الأممِ ومسلك الأقوام

نكتةُ مجيءِ المسندِ إليه ضميرَ جمعٍ:

جاء المسندُ إليه ضميرَ جمعٍ مرفوعٍ في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ

الغرورُ يقودُ صاحبَهُ إلى اعتقادِ أفضليَّتِهِ على الآخرين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 213.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 554، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 422.

﴿أَمۡوَٰلًا وَأَوۡلَٰدٗا﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّهم قالوا ذلك؛ غرورًا وافتخارًا بما هم فيه من نِعَمٍ وأولادٍ، كأنَّهم قد خُصّوا بذلك دونَ غيرِهم، وتعريضًا بالمؤمنين الذين اتَّبعوا الرُّسل، بأنَّ ضَعْفَ حالِهم وقِلَّةَ عَدَدِهم وشَظَفَ عَيشِهم حُجَّةٌ عَلى أَنَّهُم غَيرُ مَحظوظينَ عِنْدَ اللَّهِ، ولَم يَتَفَطَّنوا إلَى أَنَّ أَحوالَ الدُّنيا مُسَبَّبَةٌ عَلى أَسبابٍ دُنْيَوِيَّةٍ لا عَلاقَةَ لَها بِأَحوالِ النّاسِ[1].

دلالةُ صيغةِ التَّفضيل:

جاءَ قولُه تعالى: ﴿أَكۡثَرُ﴾ على وزنِ أفعلِ، ويمكن أن يكونَ معناهُ الزيادة المُطلَقَةُ، أي: غير المُقَيَّدة بمفضَّلٍ عليه، واسمُ التفضيلِ مسلوبُ المفاضلة، وقصدُ المُترفين من التَّعبيرِ به: الإخبارُ بأنَّ لديهم مِن الأموالِ والأولادِ ما لا يُقادر قدرُهُ، ولا يُمكن حصرُهُ، والمعنى: أموالُنا وأولادُنا كثيرةٌ جِدًّا، ويمكن أن يكون قصدُهم المفاضلةَ بينهم وبين الرُّسل وأتباعهم، والمُفَضَّل عليه محذوفٌ، تقديرُه: نحن أكثر أموالًا وأولادًا منكم[2]، وأيًّا كان نوعُ الأسلوب، فغرضُ المترفين من قولِهم: ﴿أَكۡثَرُ﴾ الاستدلالُ بالوفرةِ والكثرةِ، أو التي تفوق ما لدى الرَّسول وأتباعِه على صحَّة مسلكِهم ورضوانِ الله عنهم في الدُّنيا والآخرة[3]، ما يعني: أنَّه لا ضرورةَ لإيمانهم بالرَّسول، ولا داعيَ لتركِ ماهم عليه إلى ما جاءَهُم به.

كـثرةُ الأمـوالِ والأولادِ تـوهِـمُ الفضيلةَ المانعةَ مِـن تـحـصـيـلِ الفضيلة

نكتةُ الجمعِ بين الأموال والأولاد:

في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلًا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ جمعَ المترفونَ في تعبيرِهم بين الأموال والأولاد؛ للدَّلالة على أنَّهم حازوا النَّعيم كلَّه، وملكوا زينةَ الحياة الدنيا، وصاروا في مأمنٍ من خوفِ الملوك،

الـخـيرُ في نـظـرِ المُتْرَفين ينحصرُ في الخيرِ الماديِّ الحسّيِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 213.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 321.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 422.

وقهرِ الأعداء، وعدم نفوذِ الكلمة، والكَدِّ في تحصيل المقاصدِ ونحوِ ذلك[1]، وهذا مِن شأنِهِ أن يغنيَهم عن اتِّباع الرسولِ، ولا يُحْوِجَهم إلى الإيمان بما جاءهُم بهِ؛ لأنَّه علامةٌ على اصطفاء اللّه تعالى لهم ورضاه عنهم وعمّا يدينون بهِ ممّا وجدوا عليه آباءَهم.

نكتةُ استعمالِ لفظِ الأولاد دون الأبناءِ:

في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمال لفظِ الأولاد دون الأبناءِ؛ ليشملَ الذكورَ والإناث، والأبناءَ والأحفاد، وأبناءَ الرَّجلِ وما يعمُّ من أبناء العصبةِ الواحدة، فالأولادُ ملحوظٌ فيه الولادةُ التي تربط بين الولدِ والوالدِ في بلد أو قبيلة واحدةٍ، فهُم أكثر عددًا وأقوى منعةً، فهُم مولودون لتكثيرِ سوادِ القبيلة، أو القرية، وبه يكتسبون المنعةَ والقوَّةَ التي بها يستغنونَ عن غيرِهم، وهذا الاستغناءُ هو الذي يُشعر صاحبَه بالكبرِ والطُّغيانِ، ويورِّثه العجرفةَ والبُهتانَ.

الأولادُ أشملُ مِنَ الأبناء وأكثرُ عددًا في العزَّةِ والقوَّةِ

نكتةُ تقديمِ الأموال على الأولاد:

قَدَّم النَّظمُ ذكرَ الأموال في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾؛ لأنَّها في الأغلبِ الأعمِّ سببٌ في كثرة الأولاد، بالاستكثار من النِّساء الحرائر والإماء، اللّاتي يلدْنَ الأولاد، ويقمْنَ على تربيتهم ورعايتهم[2]، فالأموال هي وسيلةُ تكثير الأولاد، وتربيتهم، وقد تكون أعزَّ عند كثيرٍ مِنَ النّاس من الأولاد، ذلك أنَّه بالأموال تُشترى النُّفوس، وتُكتسب القوَّة، ويُؤتى بالعزَّة، وأولاد بلا أموالٍ ذلٌّ وقهرٌ وعَوَز عند من يريد السَّيطرة والقوَّة.

الأمـــوالُ مع الأولاد قـــوَّة، والأولاد بـــلا أموالٍ فقرٌ وعيلة

نوعُ الواوِ ومعناها:

الواو في جملة: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لعطفِ ما بعدَها على جملةِ:

التَّصريحُ بنفي العـذابِ بعد التَّلويحِ به

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 321.
(2) البقاعي، نظم الدرر/ 5/ 513.

﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾؛ لأنَّ كلتيهما مِن كلام المترَفينَ، كما أنَّ الثانيةَ في حُكم المسبَّبة عن الأولى، والمترتِّبة عليها، وإنَّما جيءَ فيهِ بحَرفِ العَطفِ لِتَرجيحِ جانبِ الفائدَةِ المُستَقِلَّةِ على جانب الاستنتاج الَّذي يومِئُ إلَيهِ ما تَقَدَّمَهُ[1].

نوع (ما) ودلالتها:

المترفون ينفون عذابهم في الدُّنيا والآخرة

(ما) في جملة: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ هي النّافية العاملةُ عملَ ليس، وآثر النَّظمُ النَّفي بها على لسانِ أولئك؛ لأنَّ مِن خصائصِها نفيَ الجمل الاسميَّة والفعليَّة، وهي آكدُ في النَّفي مِن (ليس)، وأوسعُ استعمالًا منها؛ لأنَّ (ليس) مختصَّةٌ بنفي الجملِ الاسميَّة فحسب[2].

دلالةُ تقديم النَّفي على الضَّمير:

يعتقدُ المترفون أنَّهم على خيرٍ لم يكن لغيرِهم

في تقديم ضميرِ المتكلِّمين: ﴿نَحْنُ﴾ وإيلائِهِ حرفَ النَّفي اهتمامٌ وتأكيدٌ لنفي العذابِ عنهم في الآخرةِ قياسًا على حالِهم في الدُّنيا، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المؤمنين ليسوا كذلكَ، ومعنى كلامِهم: نحن في نعمةٍ لا تشوبُها نقمة، وهو دليلُ كرامتِنا على اللهِ ﷻ ورضاه عنا، فلو كان ما نحن عليهِ مِنَ الشِّرك وغيره ممّا تدعونا إلى تركهِ مخالفًا لرضاه؛ لَما صِرْنا فيما نحنُ فيه مِنَ النِّعمة[3].

دلالةُ حرفِ (الباء):

جيءَ بحرف (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ لتأكيد المُترفين انتفاءَ عذابِهم انتفاءً لا يقبل المراءَ أو الجدل، قياسًا على النَّعيم الذي خُصّوا به في الدُّنيا، والمَنَعَةِ التي يعيشون فيها.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ العذابِ:

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ خبرًا لـ (ما)

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 213.
(2) السامرائي، معاني النحو: 4/ 191.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 231.

النافية، لما فيه مِنَ الدِّلالة على أنَّ المترفين يعتقدون أنَّهم بمنأى عن العذابِ الذي يُنذرهم به المرسلونَ، ويتوعَّدونهم بحصولهِ لهم إن هم استمرّوا على كفرِهم، ولم يُؤمنوا بِهم؛ لأنَّهم يقيسونَ حالَهم في الآخرة على الحالِ الَّتي هم عليها في الدُّنيا، ما يفيد بقاءَهم على الكفرِ وإصرارَهُم عليه؛ بسبب هذا القياس الفاسدِ، فدلَّت هذه المفردةُ على أنَّ المترفين يردّون على المرسلين ما يُنذرونَهم بهِ مِن نزولِ العذابِ القريب في الدُّنيا أو في الآخرةِ، فاختيارُ هذه المفردةِ يومِئ إلى الحوار الَّذي دارَ بين المرسلين والمترفينَ، ويُرشِّحُ ذلك اختيارَ لفظ ﴿نَّذِيرٍ﴾، فهو الأنسبُ بأن يكونَ قد أنذرَهُم عذابَ اللّه تعالى.

المفردةُ القرآنيَّة تكشفُ عن الحوارِ المستور، وتعينُ على تقدير المحذوف

دلالةُ اسمِ المفعولِ في ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾:

صيغَ لفظُ ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ باسم المفعولِ؛ للإشارة إلى يقينِهم بانتفاءِ العذابِ عنهم في كلِّ الأحوالِ، إمّا لأنَّ العذابَ لا يكونُ أصلًا، أو لأنَّه أكرمنا بالنَّعيم، فلا يهينَنا بالعذاب[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القريةُ والمدينةُ:

القريةُ: كُلُّ مَكانٍ اتَّصَلَتْ بِهِ الأَبنيَةُ، واتُّخِذَ قَرارًا، وتَقَعُ عَلى المُدُنِ وغَيرِها، والجَمعُ قُرًى[2]، وسُمّيَت قَريَةً لاجتماعِ النّاسِ فيها[3]، ولا يُلحَظُ فيها التَّحَصُّنُ، وعبَّر بها القرآنُ مفردةً ومثناةً ومجموعةً فيما يقارب الخمسين موضعًا.

المدينةُ المكانُ الأعمُّ في اجتماعِ النّاس، والقريةُ يُلحظ فيها التقارب بين أهلها

أمّا المدينةُ؛ فهي اسمٌ للمِصرِ الجامعِ المُحَصَّنِ، وأصلُها: الحصنُ يُبنى في أُصطُمَّة الأرض (أُصطُمَّة كلِّ شيءٍ: مُعظَمُهُ)، وكلُّ أرضٍ يُبنى بها حِصْنٌ في أُسْطُمَّتِها، فهي مدينةٌ، أطلقها القرآنُ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 249.
(2) الحموي، المصباح المنير: (قري).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (قري).

على العواصم ونحوها[1]، واستعملها مفردةً ومجموعة بضع عشرة مرَّة، وهذا يعني أنَّ القريةَ أعمُّ مِنَ المدينة، وأقلُّ سُكّانًا منها.

الإنذارُ والتَّخويف:

الإنذارُ: تخويفٌ مَعَ إعلامٍ مَوضِع المخافة، مِن قَوْلك: نُذِرْتُ بالشَّيْء؛ إذا عَلمتَهُ، فاستعددتَ لَهُ، فَإذا خَوَّف الإنسانُ غيرَهُ، وأعلمَهُ حال ما يخوِّفه بِهِ؛ فقد أنذرَهُ، وإن لم يُعلمْهُ ذَلِك؛ لم يقلْ: أنذره، والنَّذر: ما يَجعلُهُ الإنسانُ على نَفسِهِ؛ إذا سَلِمَ ما يخافه، والإنذار: إحْسانٌ مِنَ المُنْذِرِ، وكلَّما كانَت المخافة أَشدَّ؛ كانَت النِّعمَةُ بالإنذارِ أعظمَ، ولِهذا كانَ النَّبيُّ أعظمَ النّاس مِنَّةً بإنذارِهِ عِقابَ اللّه تَعالى[2].

الإنـــذارُ إعـلامٌ بموضعِ المخافةِ، والتَّخويف أعمُّ

أمّا التخويفُ؛ فهو بثُّ الرُّعبِ والخوف في نفوس الآخرين، من غير إعلامٍ بموضعِ المخافةِ، وقد يكون مقصودًا لذاتِهِ، وقد يكون لمصلحةٍ تعودُ عَليهم[3].

ولمّا كان السّياقُ لبيان انصرافِ أهلِ القُرى عنِ الرُّسل الذين جاؤوا لهدايتِهم؛ كان التَّعبيرُ بالإنذار أنسبَ؛ لدلالتِهِ على حصول الانصرافِ مع تحقُّق حبِّ الرُّسلِ لأقوامِهم وحِرصِهم عليهم، وعدم قصدِهم التَّخويفَ مِن أجلِ إفزاعِهم، ولكن مِن أجلِ المصلحةِ الَّتي تعود عليهم.

الترفُ والغِنى:

التَّرفُ: هو التَّنَعُّم والتَّوَسُّعُ في ملاذِّ الدُّنيا وشهواتها، وهو مرتبطٌ في الأغلبِ الأعمِّ بالرؤساءِ وقادة الشَّرِّ والفاسدين في القرى والمدن[4].

الأوَّلُ مـــرتبطٌ بـالـفـسـاد والـطُّـغـيـان، والـــثـــاني لا يُشترطُ فيه ذلك

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (مدن).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 242.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 242، والعسكري، الوجوه والنظائر، ص: 204.
(4) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ترف).

أمّا الغنى؛ فقد يكون مادّيًّا، وقد يكون غير مادّيٍّ؛ لأنَّه يكون بِالمالِ وغَيره من القوَّة والمعونة[1]، ولا ارتباط بينه وبين الرؤساءِ وقادة الشَّرِّ والفاسدين، فقد يكون الغنيُّ صالحًا، وقد يكونُ غيرَ ذلك، وقد يُظنُّ الرَّجلُ غنيًّا، وليس عندَهُ مالٌ، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: 273]، ما يعني: أنَّ الغنيَّ ليس مُفْسِدًا باطِّراد، وليس سببًا في استكبارِ الناس ومعاندتهم الإيمانَ بالرُّسلِ، كالتَّرف الذي يكون سببًا في ذلك على الدَّوام، وهو ما يجعلُ التَّعبيرَ بـ (المترفين) أدقَّ وأنسبَ للغرض الذي تقصد إليه الآيةُ، مِن بيانِ أنَّ الانصرافَ عن الإيمان راجعٌ إلى فساد المترفين وانحرافهم، وليس إلى خللٍ في الرِّسالة أو الرسول.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 175.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»